مجلة الدراسات الإسلامية - جامعة كابل
Journal of Islamic Studies - Kabul University
رقم تسجيل المجلة: RCTD GIJR - 0015-25 الرقم الدولي: e-ISSN: 3078-6355

JIS Journal Of Islamic Studies Kabul University e-ISSN:3078-6355

https://doi.org/10.62810/jis.v2i3.308

التبيين في النحو العربي حقيقته ورسالته "دراسة وصفية تحليلية استقرائية"

الباحث:

الدكتور محمد قسيم آخند زاده الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية بكلية الآداب واللغات الأجنبية بجامعة كابل – أفغانستان.

البريد الالكتروني: Akhoundzada@Gmail.com

تاريخ المادة:

تاريخ الإرسال: (٢٩ شعبان ١٤٤٧)

تاريخ الإصلاح: (١٠ شعبان ١٤٤٧)

تاريخ القبول: (١٥ رمضان ١٤٤٧)

تاريخ النشر: (٢٩ رمضان المبارك ١٤٤٧)

الملخص: يُعالج هذا المقال قضية التبيين في النحو العربي بوصفها مبدأً وظيفيا موجِّهًا لبناء القاعدة النحوية وتوجيه الدلالة، وذلك من خلال دراسة تكاملية بين المبنى والمعنى في ضوء التراث النحوي والبلاغي. وينطلق البحث من إشكاليةٍ مفادها أن التبيين لم يحظَ بدراسة مستقلة في النحو، رغم حضوره المركزي في تعليل القواعد وضبط الفهم. ويهدف المقال إلى تتبّع مفهوم التبيين عند النحاة في مباحث النحو المتعددة، وبيان آلياته ووسائله البنوية والدلالية. وقد أسفرت الجهود في هذا المجال أن التبيين من الأضداد يفيد الوصل والفصل معا في اللغة، كما جاء بمعنى الإظهار والوضوح، والفصاحة، والفهم وذكاء القلب، والتثبت أيضا، وورد في النحو العربي كمصطلح يتعامل به النحاة في مسائل مختلفة من تربة النحو، ووظفوه في أبواب النحو المتعددة بمعان عدة، منها: الإظهار، والفرق، والمناسبة، والفصل، والتفسير والتوضيح تعبيرًا عن إزالة الإبهام والالتباس في اللفظ أو الدلالة. وقد اعتمد البحث عن الموضوع المنهج الوصفي التحليلي، مع الإفادة من المنهج الاستقرائي في تتبّع الشواهد، كما اعتمد في توثيق المعلومات أسفل الصفحة، وثبت المصادر في القائمة منهج شيكاغو المعروف بما ينسجم مع متطلبات المقالات المحكمة.

الكلمات المفتاحية: الإعراب، التبيين، الدلالة. المبنى والمعنى، النحو العربي.

Elucidation in Arabic Grammar: Its Reality and Mission "A Descriptive, Analytical, and Inductive Study"

ABSTRACT: This article investigates elucidation (al-tabyīn) in Arabic grammar as a functional principle that shapes grammatical rule formation and guides semantic interpretation. It adopts an integrative approach that examines the relationship between form and meaning within the broader grammatical and rhetorical tradition. The study addresses the problem that, despite its central role in explaining rules and regulating understanding, elucidation has not been treated as an independent concept in grammatical scholarship. The article traces the use of al-tabyīn across various grammatical domains and identifies its structural and semantic mechanisms. It demonstrates that the term carries multiple meanings, including manifestation, clarification, distinction, separation, interpretation, and the removal of ambiguity at both the formal and semantic levels. It also notes that al-tabyīn may function as a contronym in linguistic usage, conveying both connection and separation. Methodologically, the study employs a descriptive-analytical approach, supported by inductive analysis of textual evidence. References are documented in footnotes, and the bibliography follows the Chicago style in accordance with the standards of peer-reviewed academic research.

Keywords: Arabic grammar, Elucidation, Inflection (iʿrāb), Semantics, Form and Meanin.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد؛ فلا شك أن **التبيين** يعد من المصطلحات المركزية المهمة في الدرس النحوي العربي، حيث يمثل وظيفة أساسية من وظائف اللغة يتجاوز بها المستوى التركيبي إلى تحقيق الغايات الدلالية. فهو يتصل اتصالًا مباشرًا بوظيفة اللغة في الإفهام وإزالة اللبس. وقد انشغل النحاة قديمًا وحديثًا ببيان الوسائل النحوية والتركيبية التي يتحقق بها التبيين، سواء على مستوى المبنى (الشكل والتركيب) أم على مستوى المعنى (الدلالة والمقصد).

فالنحو العربي لم يقتصر على وصف العلاقات بين الكلمات في الجملة، بل امتدّ إلى بيان كيفية تحقيق الوضوح الدلالي وتجنب اللبس والغموض في التعبير، ويأتي هذا المفهوم من الأصل اللغوي "بين" الذي يحمل معنى البعد والفراق، مما يشير إلى فصل الشيء وإبرازه عن غيره، وهذا بالضبط ما يحققه التبيين النحوي حين يميز بين المكونات اللغوية، ويوضح العلاقات فيما بينها.

أهمية البحث:

احتلّ البيان مكانةً رفيعة في الثقافة العربية الإسلامية، بوصفه أداة الإفهام ووسيلة الكشف عن المقاصد. وقد تضافرت علوم العربية، وعلى رأسها النحو، على خدمة هذا المقصد، وإن اختلفت مناهجها وأدواتها. فالنحو لم يكن في نشأته الأولى علمًا شكليًا يُعنى بضبط أواخر الكلمات فحسب، بل كان علمًا وظيفيًا يهدف إلى صيانة المعنى من الخلل واللبس.

ومن هنا تبرز أهمية دراسة التبيين في النحو العربي، بوصفه مبدأً موجّهًا للقواعد النحوية، ومعيارًا لفهم عللها وأحكامها. فالنحاة حين قرروا قواعد الإعراب، ورتّبوا أبواب التقديم والتأخير، والذكر والحذف، لم يفعلوا ذلك عبثًا، وإنما لتحقيق التبيين والإفهام.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى دراسة ما يلي:

١– مفهوم التبيين النحوي في مستوييه التركيبي والدلالي؛

٢– المعاني التي أفادها لفظ التبيين في النحو العربي؛ مع تتبّع تجلياته في النصوص العربية المختلفة؛

٣– تقديم رؤية شاملة تجمع بين الجانبين النظري والتطبيقي لهذا المفهوم المحوري في علم النحو.

مشكلة البحث:

يحاول هذا المقال الإجابة عن الإشكالية الآتية :كيف أسهم النحو العربي، من خلال مبناه ومعناه، في تحقيق التبيين؟

أسئلة البحث:

يتفرع عن هذه الإشكالية عدد من الأسئلة الجزئية، من أبرزها:

ما مفهوم التبيين في التراث النحوي؟

وما وسائله ورسالته البنيوية والدلالية؟

وما أثره في فهم النصوص؟

الدراسات السابقة:

التبيين كمصطلح نحوي ورد بكثرة ضمن التراث النحوي الضخم، وعلى الرغم من حضوره المركزي البارز في هذا العلم لم يقم – حسب معلوماتي– أحد من الدارسين المعاصرين بتحليله ودراسته ومعالجته في بحث أو مقال مستقل حتى أتطرق إليه لأرى النتائج التي وصل إليها الآخرو، وأبنى على تلك النتائج ما يمكن أن أبنيه، وربما كان هذا المقال أول إنتاج فكري معاصر يتتبع نشأة هذا المصطلح في النحو العربي، ويبين دلالاته، ويحدد أدواته، ورسالته، فهو عمل بكر لم يسبقني إليه أحد من الدارسين.

منهج البحث:

قام الباحث بتتبع مصطلح التبيين في النحو العربي؛ ليبرز مفهومه ومدلوله، ورسالته وفقا للمنهج الوصفي، التحليلي الاستقرائي معتمدا عند التوثيق في أسفل الصفحة وثبت الببليوغرافيا على منهج شيكاغو المعروف.

محتويات البحث:

يشتمل هذا المقال على مقدمة ومبحثين وخاتمة، يناقش في المبحث الأول مفهوم التبيين وحقيقته في اللغة والاصطلاح، ودلالته في التراث النحوي، كما يناقش في المبحث الثاني أقسامه ورسالته، وتشتمل خاتمته على أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: مفهوم التبيين وحقيقته:

المطلب الأول: مفهوم التبيين اللغوي:

التبيين في اللغة: يستند المفهوم النحوي للتبيين إلى مفهوم هذا اللفظ اللغوي العام الذي تتبناه المعاجم العربية **و**مصادر التراث اللغوي . فالتبيين على وزن تفعيل مصدر لفعل (بَيّن) على وزن فَعَّل الثلاثي المزيد بتضعيف العين، مجرده البَيْن والبيان. البين أو البيان أجوف يائي، ومعناه الكشف والإيضاح، يُقال: بانَ الحَقُّ، وأَبانَ، وتَبَيَّنَ، و بان الشيء يبين بيانا وبينا إذا اتَّضَحَ وانْكَشَفَ، ويقال: بَيَّنَ فلان الشيءَ؛ إذا جَعَلَهُ واضحاً لا غُمُوضَ فيه ولا خَفاء. فالتَّبْيِينُ في اللغة بما أنه بمعنى الكشف والإيضاح يرتبط بمجموعة من الدلالات المتقاربة، منها الإفصاح، والفصل والتمييز والإفهام، والتفسير، والتفصيل، والشرح والإظهار، والتثبت. لذا نرى في ضوء تحليلات القواميس أن البيان قد جاء في اللغة العربية بعدة معان، منها:

١– الانفصال: جاء البين في اللغة العربية بمعنى الانفصال، والفراق [١]،يقال: بان الشيء يبين بينا وبينونة إذ انفصل من غيره[٢]، ومثله يقال: أبنته إذا فصلته[٣]، ومنه قولهم: غراب البَيْنِ لطائر معروف، وسموه بهذا الاسم؛ لأن صوته يؤذن بالبين والفراق في نفسيات

---

[١] – الأزهري، أبو منصور، محمد بن أحمد، ٢٠٠١م، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٥: ٣٥٧.

[٢] – الجوهري، إسماعيل بن حماد، ١٤٠٧–١٩٨٧م، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤، بيروت: دار العلم للملايين، ٥: ٢٠٨٢.

[٣]– الفيومي، أحمد بن محد، (د.ت)، المصباح المنير في غريب شرح الكبير، بيروت: المكتبة العلمية، ١: ٧٠.

العرب[١]، وذلك لأنه عادة يقع في مرابض البيوت كلما بان أهلها منها، ورحلوا، وانفصلوا عنها[٢]. ولعل العرب سموه بالغراب نظراً لتولد هذا النوع من الإحساس بصوته عندهم، فالغراب أصلاً من الغربة، ولا يخفى على أحد الإحساس بالفراق من لفظ الغربة والاغتراب. يبدو من هذا التحليل أن العرب سموا هذا الطائر بغراب البين من أجل أنه دوماً يقع في مرابض البيوت بعد انفصال الناس منها، فيصيح صياحاً وفقاً لعادته، فيتصل صوته بفراق الأحبة ويلازمه، فيتشاءم به الناس، وبكرهونه، ويعتبرونه كأنه ينبئ بالفراق بين الأحباب.

٢- الوصل: وعلى صعيد آخر ذكر اللغويون أن البين في اللغة جاء بمعنى الوصل كذلك، لقد قرأ جماعة قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[٣] برفع لفظ (بينكم)، ومعناه تقطع وصلكم. ومثله جاء في قول شاعر مجهول أنشده في البحر الطويل فقال[٤]:

لقد فَرَّقَ الواشِينَ بيني وبينُها فقَرَّتْ بِذاكَ الوَصْلِ عيني وعينُها

ذكر الشاعر بأن الوصل بينهما جزع الواشين وأفزعهم، فأدى ذلك إلى قرارة أعينهما.

ومثله ذكر قيسُ بن ذَريح[٥] البين بمعنى الوصل في قول أنشده في الطويل[٦]:

لَعَمْرُك لولا البَيْنُ لانقْطَعَ الهَوى ولولا الهوى ما حَنَّ لِلبَيْنِ آلِفُ

صرح بأن الوصل والحب متلازمان بعضهما لبعض، فلولا الوصل لانقطع الحب وزال، ولولا الحب ما مال المحبون للوصل، وما اشتاقوا له. فالحب بين الناس يتولد من الوصل، والوصل بينهم يتولد من حب بعضهم بعضا. نرى أن البين في هذين البيتين جاء بمعنى الوصل كما أنه أفاد الفصل فيما رأيناه سابقاً.

ثبت أن البيان في اللغة العربية مشترك لفظي يدل بلفظ واحد على معنى وضده، يبدو أنه وضع أصلاً للقطع والانفصال، ثم انتقل منه إلى الوصل، فسمى به العرب الوصل إما تشاؤماً بتقصير زمنه وعدم دوامه، فربما سمى الوصل بالبين تشاؤماً بما يحسه العرب ويشعرون به من سرعة انقضاء فرصته، كما سموا ما يتشائمون به بما يضاده تفاؤلاً، فسموا الصحراء مفازة، والسحر طباً، واللديغ سليما تفاؤلا

---

[١] – ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، شرح ابن يعيش للمفصل للزمخشري، تحقيق: الدكتور إميل بديع يعقوب، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٣: ٨٠.

[٢] – الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دارالجيل، ٢: ٣١٥، و ٣: ٤٣١.

[٣] – سورة الأنعام، الآية: ٩٤.

[٤] – لم أعثر على قائله، ذكره ابن الأنباري في أضداده، انظر ابن الأنباري، محمد بن القاسم، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م، الأضداد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: المكتبة العصرية. وابن منظور في لسانه، ١٣: ٦٢.

[٥] – هو شاعر كناني بينه وبين الحسين بن علي رضي الله عنهما أخوة من الرضاع، كان من شعراء العصر الأموي، سكن المدينة، واشتهر بحبه للبنى بنت الحباب. انظر الزركلي، محمود بن محمد، ٢٠٠٢م، الأعلام، ط ١٥، دار العلم للملايين، ٥: ٢٠٦.

[٦] – الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، (د. ت)، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط ٥، دار المعارف، ص ٣٧٧.

بالفوز والسلامة والنجاة من مصيبة كل واحد من ذلك [١]. أو ربما كان تسمية الوصل بالبين من قبيل تسمية الشيء باسم سببه، إذ يسبب انفصال الأحبة وفراق بعضهم عن بعض دوام وصل ذكرياتهم في القلوب، واستحضارهم في الأذهان، واستمرارا حضورهم في الخواطر، بحيث لا تتفرغ خواطر بعضهم عن ذكريات بعضهم الآخر أصلاً، فأطلق لفظ البين بمعنى القطع على الوصل لكونه كان سببا له، فالبيان بمعنى الوصل مجاز علاقته سببية، إذ ذكر السبب وهو البين بمعنى القطع، وأريد به المسبب وهو الوصل.

٣- الفصاحة: ذكر الأزهري أن البيان هو الفصاحة، يقال: كلام بيّن أي فصيح، والبيّن من الرجال هو الفصيح منهم[٢]. يقال: فلان أبين من فلان، أي أفصح منه، وأوضح كلاما[٣]. وإنما سميت الفصاحة بالبيان، لما فيها من الظهور والوضوح، والظهور والوضوح كما رأينا من معاني لفظ البيان اللغوية.

٤- الفهم وذكاء القلب: ذكر الأزهري نقلا عن أبي عبيدة، أن البيان هو الفهم وذكاء القلب مع اللسن[٤]. وإنما أطلق البيان على الفهم و ذكاء القلب أيضا؛ لأن البيان بمعنى الفصاحة يكون من لوازم الفهم والذكاء، يستطيع الذكي الفاهم من الناس أن يقول كلاما يستميل به قلوب الناس نحوه، وينال به رضاهم، فيصدقونه في كلامه، فإطلاق لفظ البيان على الفهم وذكاء القلب إطلاق مجازي علاقته تلازمية.

٥- التثبّت: جاء التبيين –كما ذكره الأزهري عن الكسائي نقلا عن أبي عبيدة– بمعنى التثبت في الأمر والتأني فيه أيضا، قرئ قوله تعالى:﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[٥] ومثله قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[٦] بالوجهين: تبينوا وتثبتوا، وأضاف الأزهري أن المعنيين متقاربان[٧]؛ وذلك لما بينهما من التلازم، فكلما يثبت، يتبين، كما أن كل ما يتبين يتثبت.

٦- الوضوح: وقد جاء البيان في اللغة بمعنى الوضوح أيضا، يقال بان الشيء بيانًا إذا اتضح، وجاء أفعل المزيد بالهمزة منه بمعنى فَعَل المجرد، إذ يقال: أبانَ الشيءُ فهو مُبين، وبان الشيء فهو بيّن أي اتضح الشيء فهو واضح. ومثله جاء التفعُّل منه لازما ومتعديا، إذا يقال: تبيَّن الشيءُ إذا اتضح وظهر، وتبينته أنا إذا استوضحته، وتأملته وتوسمته. وورد التبيين على وزن التفعيل منه

---

[١] – ابن منظور، ١٤١٤ هـ، لسان العرب، ط ٣، بيروت: دار الصادر، ٥: ٣٩٢.

[٢] – الأزهري، تهذيب اللغة، ١٥: ٣٥٨.

[٣] – الجوهري، الصحاح وتاج العربية، ٥: ٢٠٨٢.

[٤] – الأزهري، تهذيب اللغة، ١٥: ٣٥٨.

[٥] – سورة النساء، الأية: ٩٤.

[٦] – سورة الحجرات، الأية: ٦.

[٧] – الأزهري، تهذيب اللغة، ٥: ٣٥٨.

بمعنى الإيضاح والوضوح أيضا، يقال: بيّنته، فبَيَّن، أي وضحته فاتضح وتبين، وقدجاء في المثل التبيين بمعنى التبيُّن حيث قالوا: " قد بيَّن الصبحُ لذي عَيْنَين" أي تبيَّن، ذكر أصحاب المعاجم أن (بان الشيء، وأبان، وبَيَّن، وتَبَيَّن، واسْتبان، بمعنى واحد) [١].

ذكر الإمام الرازي أن التبيين عبارة عن الظهور بعد الخفاء، وعلل ذلك فأضاف، بأنه (مشتق من البينونة والإبانة، وهي عبارة عن التفريق بين أمرين متصلين، فإذا حصل في القلب اشتباه صورة بصورة ثم انفصلت إحداهما عن الأخرى فقد حصلت البينونة؛ فلهذا السبب سمي ذلك بياناً وتبييناً) [٢].

يدل كلام الشيخ الرازي على أن البيان قد وضع في اللغة العربية لأول مرة للدلالة على البينونة والانفصال، ثم انتقل منه إلى الدلالة على الوضوح على أنه أثر بينونة شيء من غيره وفصله عنه؛ وذلك لأن الشيء كلما انفصل عن غيره اتضح وتبين، فإطلاق البيان على الوضوح والظهور من قبيل إطلاق اسم السبب على مسببه.

المطلب الثاني: التبيين في اصطلاح النحاة:

أصبح التبيين مصطلحا نحويا يتردد لوقت أو لآخر في تعابير عمالقة هذا الفن، لأنه يعد مما تتعلق به أغرض أهل اللغة[٣]، وقد اتضح من تتبع تعاريف علماء النحو أن كلمتهم قد اختلفت في تعريف اصطلاحي للفظ التبيين في الظاهر، إلا أنهم جميعا يريدون به في الغالب التفسير والتوضيح، لقد جاء في التوقيف على مهمات التعاريف أن (التبيين انقطاع المعنى أو الشيء، مما يلابسه ويداخله)[٤]. ومثله ورد في المَحْصول أن البَيانَ (إظْهارُ المعْنَى للنَّفْسِ حتى يتبيَّنَ من غيرِهِ ويَنْفصِلَ عمَّا يلتبسُ به)[٥]. يتضح من ظاهر لفظ هذين التعريفين أنهما يختلفان على مستوى التعبير فحسب؛ يعتمد الأول منهما في التعبير أساسا على فصل شيء عن غيره ليتضح، بينهما يعتمد الثاني على إيضاح شيء وتفسيره لينفصل عن غيره، لا اختلاف بينهما في الواقع، ويعتمدان على معنى الانفصال للفظ البيان، ولا يبتعدان عن معناه اللغوي كثيرا.

وعلى صعيد آخر قد جاء في المنصف لابن جني أن التبيين هو أن تُعلِّق شيئا من عناصر تركيب الكلام بما يدل عليه معنى هذا الكلام[٦]. يدل ظاهر كلام ابن جني على أن التبيين بمعنى التفسير والتوضيح يعتبر عند النحاة في بعض الاستعمالات اسما لعملية لغوية يتوصل بها

---

[١] – انظر الأزهري، تهذيب اللغة، ١٥: ٣٥٦ .

[٢] – الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، (د.ت)، مفاتيح الغيب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١: ٩٣.

[٣] – ابن عقيل، عبد الله، ١٩٨٥م، شرح ابن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ط ٢، دمشق: دار الفكر، ٢: ٩٩.

[٤] – المناوي، محمد عبد الرؤوف، ١٤١٠هـ، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط ١، بيروت، دمشق: ص ١٥٨.

[٥] – الزبيدي، (د.ت)، تاج العروس. مجموعة المحققين، القاهرة: دار الهداية، ٣٤: ٣٠٥.

[٦] – انظر ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م، المنصف شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، ط ١، بيروت: دار إحياء التراث القديم، ص: ١٣١.

المتكلم إلى بيان مراده بالكلام، فهو يعلق شيئا من عناصر تركيب كلامه على معناه دون لفظه؛ لإيضاح المراد به، يبدو أن ابن جني اعتمد في تعريفه للتبيين النحوي على المعنى الثاني للفظ البيان وهو الإيضاح لما يكون فيه غموض أو إبهام.

فالتبيين في اصطلاح العلماء عامة سواء حمل على الاتجاه الأول أم الثاني– ينبئ أساسا عن التفسير والظهور بعد الخفاء، ووجه اختيارهم إياه بهذا المعنى هو أنه مشتق من البينونة والإبانة، وهي التفريق بين أمرين متصلين، فإذا حصل في القلب اشتباه صورة بغيرها ثم انفصلت إحداهما عن الأخرى فقد حصلت البينونة الناتجة للظهور والوضوح؛ فلهذا السبب سمي ذلك بياناً وتبييناً[١]. فهو عبارة استعمال الوسائل النحوية والتركيبية أو الدلالية لإزالة الإبهام عن المعنى المقصود، وتحقيق الفهم الصحيح للتركيب اللغوي، عبر ضبط العلاقات بين عناصر الجملة.

المطلب الثالث: معاني التبيين في التراث النحوي:

نشاهد عند التتبع في التراث النحوي أن لمصطلح (التبيين) تاريخا عريقا في العلوم اللغوية سيما علم النحو، ثبت لي عند التتبع أنه ورد في التراث النحوي العربي مرة بمعانيه اللغوية، كما ور فيه أخرى بمعناه الاصطلاحي كذلك، ومن معاني اللغوية التي يفيدها هذا المصطلح في كتب النحو ما يلي:

الإظهار: جاء لفظ التبيين في كتب النحو بمعنى الإظهار، والإظهار من المعاني اللغوية لهذا اللفظ؛ ذكره سيبويه في كتابه بمعنى الإظهار مضافا إلى المبيَّن فقال: (كما أن تبيين الحركة بالألف قليل)[٢]، يريد سيبويه بـ(تبيين الحركة) إظهارها، وعدم حذفها عند الوقف. ومثله ذكر أبوحيان نقلا عن سيبويه بخصوص السكت في قوله تعالى﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[٣] بأن (اللام البيان فيها، والإدغام مع الراء حسنان، فلما أفرط في شأن البيان في بل ران، صار كالوقف القليل)[٤]. ورد لفظ البيان في هذه الفقرة مرتين وأريد به التبيين وهو الإظهار، وإنما جاء البيان هنا بمعنى التبيين لأن البيان والتبيين والتبيُّن والاستبيان حميعها– كما سبق أن أشرنا إليه– يأتي في اللغة بمعنى واحد، وهو الإظهار.

مثله ذكر سيبويه التبيين مرة آخرى بهذا المعنى أثناء حديثه عن أحكام مندوب، وبين ناقلا عن الخليل (أنك إذا ندبت فإنما ينبغي لك أن تفجع بأعرف الأسماء، وأن تخص ولا تُبهم؛ لأن الندبة على البيان... وزعم أنه لا يستقبح وامَن حفر بئر زَمزماه؛ لأن هذا معروف بعينه، وكأن التبيين في الندبة عذر للتفجع)[٥]، نرى بوضوح أنه ذكر البيان والتبيين في كلامه و قصد بهما الإظهار بعظمة المصيبة وجسامتها،

---

[١] – الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، مفاتيح الغيب من القرآن اللكريم، ١: ٩٣.

[٢] – المرجع السابق، ٤: ٢٣٨.

[٣] – سورة المطففين، الأية: ١٤.

[٤] – أبوحيان، محمد بن يوسف، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، تفسير البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٠: ٣٥٢.

[٥] – سيوبه، عمر بن عثمان، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط ١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢: ٢٢٨.

فالمندوب يجب أن يكون معرفة، ولا يجوز أن يندب من لا يعرفه النادب؛ لأن الندبة في الواقع إظهار على سبيل إخبار لمدى ما وقع فيه النادب من عظمة المصيبة وجسامتها، وهذا لا يكون عادة منه إلا على من يعرفه.

الفصل: ومن معاني التبيين اللغوية الفصل، وقد ورد التبيين في بعض مواضع من مؤلفات النحو بمعنى فك الإدغام وفصله، ولقد جاء في المقتضب (الظاءُ والثاءُ والذال هذا أَمر بعضهن مع بعض في تبقية الإِطباق وحذفه، وحسن الإِدغام وجواز التبيين، وفيما ذكرت لك من قرب المخارج وبعدها كفاية، فأَمّا قراءَة أَبي عمرو ﴿هَثُّوِّبَ الكُفَّارُ ما كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[١] فإِنَّ التبيين أَحسن مما قرأَ؛ لأَنَّ الثاءَ لا تقرب من اللام كقرب التاءِ وأُختيها، وكذلك التاءُ في قراءَته ﴿بَتُّؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾)[٢]. ذكرالمبرد في هذه الفقرة من كلامه لفظ التبيين مرتين، وأراد به فك الإدغام، سماه بالتبيين مراعاة لمعنى التبيين اللغوي وهو الفصل والفك. ومثله ذكر الإمام سيبويه في كتابه لفظ (البيان) بمعنى الفصل والفك بكثرة ضمن باب الإدغام أثناء حديثه عن عدد الحروف ومخارجها وصفاتها [٣].

وبالإضافة إلى ما سبق ورد هذا اللفظ في التراث النحوي العربي بمعناه الاصطلاحي من ذلك ما يلي:

الفرق: ورد التبيين في النحو العربي بمعنى الفرق، جاء في التحرير والتنوير لابن عاشور أن (آمن) في قوله تعالى ﴿فَمَآ ءامَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾[٤] فعل ماض من باب الإفعال من الأمانة، بمعنى صدّق، وحقه أن يعدى إلى المفعول بنفسه، ولكن عدي باللام للتفرقة بين (آمن) بمعنى صدّق من الأمانة وبين (آمن) بمعنى جَعله في أمن، أي لا خوف عليه منه، وهذه اللام سماها ابنُ مالك لامَ التبيين وتبعه ابن هشام، وهي تدخل على المفعول لتقوية معنى المفعولية، ويؤكد قصد التقوية في مثل فعل (آمن) بمعنى صدّق دفعُ أن يلتبس بفعل (آمنه) إذا جعله في أمن)[٥].وبين في موضع آخر (إنها لدفع التباس مفعول فعل «آمن» بمعنى صدق بمفعول فعل (آمن) إذا جعله أمينا)[٦]، اعتبر ابن عاشور اللام في قوله:(فما آمن لموسى)أنها للفرق بين فعل (آمن) بمعنى صدق، و(آمن) بمعنى جعله في أمن. والفرق كما قال ابن منظور خلاف الجمع[٧]، ويراد به تمييز شيء عن

---

[١] – سورة المطففين، الأية: ٣٦.

[٢] – سورة الأعلى، الآية: ١٦. انظر المبرد، ١٣٧٣هـ، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة: ص: ٢٥٢.

[٣] – انظر سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، ٤: ٤٣١– ٤٧٧.

[٤] – سورة يونس، الآية: ٨٣.

[٥] – ابن عاشور، محمد الطاهر، ١٩٩٧م، التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، ١١: ٢٥٩ .

[٦] – المصدر السابق، ١٥: ٢٠٨.

[٧] – ابن منظور، لسان العرب، ١٠: ٢٩٩.

غيره[١]، وجاء في القرآن﴿وقرآناً فَرَقْناهُ﴾[٢] في قراءة من خفف(فرقنا) بمعنى بيَّنَّاه[٣]، يقال هذا طريق أفرقُ إذا كان بيّنا[٤]، وإنما سمي الفرق بالتبيين، لأن الفرق بين شيئين يحصل بالبينونة بينهما، وقطع بعضه من بعض آخر.

المناسبة: المناسبة والتناسب من مصطلحات علم الأصوات استفاد منه علماء النحو والصرف معا في قضايا لها علاقة بعلم الأصوات، ومن النحاة من عبر عنه بلفظ التبيين ومراد به المناسبة، ورد في اللؤلؤ المنظوم أثناء بيان بناء الفعل الماضي ما نصه:

فالماضي مبني بفتح في الأخير... إلا إذا كان في عجزه ضمير

وفي ضربتُ ابنِ على السكون... وضربوا بالضم للتبيين[٥]

تحدث الناظم هنا عن بناء الفعل الماضي، وصرح بأنه يبنى بالفتح ما لم يسند إلى ضمائر الرفع المتحركة أو واو الجماعة، وعند إسناده إلى واو الجماعة يبنى بالضم، وعلل بناءه بالضم بأنه للتبيين، والمراد به التناسب بين الحركة وواو الجماعة، وإنما عبر عن المناسبة بين الحركة والحرف بالتبيين على أن التناسب بين الحركة والحرف هو سبب لإظهار الحرف وبقائه، وسلامته من التغيير.

التفسير والتوضيح:

وقد جاء مصطلح التبين بمعنى التفسير أو التوضيح في مواضع كثيرة من البحوث النحوية، وعالج به النحاة كثيرا من الظواهر اللغوية؛ فأول من ذكره بمعنى التفسير والتوضيح في تاريخ النحو العربي هو إمام النحاة سيبويه، جاء عند الوراق في علله بأن سيبويه حكى جواز تبيين الكلام قبل تمامه، ومثل له بقولهم: (إنه المسكين أحمق) وصرح بأن (هذا على طريق التبيين)[٦]. ثم تتبعه النحاة الآخرون بعده؛ فورد عند المبرد في المقتضب، وابن يعيش في شرح المفصل، وأبي حيان الأندلسي في التذييل والتكميل في شرح التسهيل، وغيرهم، فلا يكاد أن يخلو منه كتاب ألف في النحو العربي.

ومن أجل أن ما يحلله النحاة في انتاجاتهم ذو شقين اثنين: يمثل أحدهما البنية السطحية، وهي تتكون من الألفاظ كما تمثل ثانيهما البنية العميقة وهي تتكون من الدلالة التركيبية، فلا يستبعد أن يقع الالتباس في لفظه مرة، وفي معناه أخرى، من هنا استفاد النحاة من مصطلح التبيين في كلا شقي الكلام، فاعتبروا بعضا من الظواهر اللغوية التي يستخدمه أهل اللغة للكشف عن مقاصدهم من الكلام تبيينا سواء كانت تلك الظواهر مما يُكشف

---

[١] – ابن فارس، أبو الحسين أحمد، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر، ٤: ٤٩٣.

[٢] – سورة الإسراء، الآية: ١٠٦.

[٣] – الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٤: ١٥٤.

[٤] – الزمخشري، محمود بن عمر، ١٤١٩هـ. ١٩٩٨م، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢: ٢٠.

[٥] – أبو عبد الله محمد عبد القادر بن محمد باي بلعالم، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م، اللؤلؤ المنظوم في نظم منثور ابن آجروم، (مطبوع مع الكوكب الزهري نظم مختصر الأخضري)، ط ١، بيروت: دار ابن حزم، ص: ٤٣.

[٦] – الوراق، أبو الحسن، محمد بن عبد الله، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، علل النحو، ط١، الرياض: مكتبة الرشد، ص: ٣٩٩.

له اللبس في اللفظ أم كان يُكشف به اللبس في الدلالة، ونحن سنتحدث في المبحثين التالين بالتفصيل المناسب عن تلك الظواهر والوسائل اللغوية التي استفاد النحاة في التعبير عنها بلفظ التبيين.

المبحث الثاني: أقسام التبيين في النحو العربي:

التبيين اللفظي: رأينا فيما سبق أن التبيين هو الكشف والتوضيح لما فيه من الالتباس، والالتباس (صيرورة شيء شبيها بآخر بحيث لا يكون بينهما تفاوت أصلا)[١]، وحكمه أنه ممنوع لا يجوز؛ لأنه يفضي إلى الفساد. وأسباب وجوده في اللغة (وجود النظير قبل التصرف في الشيء على صفة يصير ذلك الشيء على تلك الصفة بعد التصرف فيه)[٢]. فمن أجل أن الالتباس ممنوع في اللغة، وأنه قد يقع في بنية سطحية للكلام، يزود أهل اللغة كلامهم بما يرفعه ويزيله، لذا نرى النحاة يحملون بعض الظواهر اللغوية اللفظية في اللغة العربية على التبيين، ونرى أن هذه الظواهر اللغوية التبيينة التي تكشف الالتباس اللفظي قد تكون حركات و قد تكون زيادة حروف.

أولا: التبيين بالحركات: قد يجتنب أهل اللغة عن الالتباس في اللغة على مستوى الألفاظ بالحركات، ويتم ذلك في الأغلب بنقل الحركة، أو إبقائها، أو تغييرها، وإليكم تفصيل ذلك فيما يلي:

التبيين بنقل الحركة: قد يحدث في الكلمة حذف فيلتبس بابها بباب كلمة أخرى، فيعالج أهل اللغة هذا الالتباس عن طريق نقل حركة المحذوف إلى ما سبقه بعد سلب حركته إن كان متحركا، اعتبر النحاة تلك الظاهرة اللغوية من التبيين. اعتبر النحاة كسر فاء ماضي الأجوف الواوي من باب فَعِل يَفعَل عند إسناده إلى ضمائر الرفع المتحركة من التبيين في نحو خِفتُ ونِمتُ، ذكروا أن أهل اللغة كسروا فاء الكلمة في مثل هذا عن طريق نقل حركة المحذوف إليه للتبيين، وصرحوا بأنهم لم يضموا فاء نحو: خفت ونمت مع أن المحذوف واو حقه أن يضم كما فعلوا في (قلت وجُلتُ) إيثاراً لتبيين حركة العين على تبيين ذاتها؛ لأن الحركة أهم لاختلاف الهيئة بها[٣]. ومثله حملوا فتح فائه في الأمر منه في نحو(نَم، وخَف، وهَب) للدلالة على أن عينه في الأصل مفتوح[٤].

التبيين بتغيير الحركة: ومثل ذلك قد يستخدم في النحو العربي لفظ التبيين، ويقصد به الكشف عن الحرف المحذوف، وسيلة تغيير الحركة، لقد حمل النحاة كثيرا من الظواهر اللغوية في اللغة العربية على تبيين الحروف المحذوفة، منها حملهم إيثار العرب ضم فاء ماضي الأجوف من باب نصر – ولا يكون إلا واويا– في نحو قولهم: (قُلْت) من قال يقول، و(جُعتُ) من جاع يجوع، و(صمتُ) من صام يصوم، ومثلها حملوا إيثارهم كسر فاء ماضي الأجوف من باب ضرب في مثل (بِعْت وسِرت وصِرت) على التبيين، وصرحوا

---

١ – نكري، عبد النبي بن عبد الرسول، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، دستور العلماء، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، تعريب حسن هاني، فحص، ط١، لبنان: دار الكتب العلمية، ١: ١١٢.

٢ – نكري، عبد النبي دستور العلماء، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، تعريب حسن هاني، فحص، ١: ١١٢..

٣ – الخضري، محمد، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، ١٣٤٥–١٩٢٦م، القاهرة: المطبعة الأزهرية، ١: ٧.

٤ – ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل، ٤: ٢٩٢.

بأن الأجوف الواوي من باب نصر بفتح العين إذا أسند إلى الضميرِ الرفع المتحرك ضُمَّتْ فاؤه للدلالة على أن عينه واو[١]، ومثله يقال فيما جاء على باب (ضرب) من المعتل العين: إنه إذا أسند إلى ضمائر الرفع المتحركة في نحو (بعت، وسرت) كسرت فاؤه للدلالة على أن عينه ياء[٢].

التبيين بإبقاء الحركة مع وجود أسباب تغييرها: وبالإضافة إلى ذلك قد يترك أهل اللغة الحركة كما هي مع وجود أسباب تغييرها، نحو فتح آخر الماضي المسند إلى واو الجماعة في نحو: (دعَوا) من الدعوة، و(سعَوا) من السعي، و(رمَوا) من الرمي، و(استدعَوا) من الاستدعاء، فعالج النحاة تلك الظاهرة اللغوية عن طريق حملها على التبيين للمحذوف، هذا ما نفهمه من تعبير ابن عقيل وهو يتحدث عن إسناد الفعل الناقص إلى واو الجماعة، فقال: (وإن كان الضمير واو الجماعة؛ حذفت لام الفعل واوا كانت أو ياء أو ألفا، وبقي الحرف الذي قبل الألف مفتوحا للإيذان بالحرف المحذوف)[٣]. ومثله يمكن أن يقال في كل ما أكد بنون التأكيد من المضارع المسند إلى واو الجماعة أو ياء المخاطبة، فيبقى أخر الفعل المسند إلى واو الجماعة مضموما بعد حذف الواو للدلالة على أن المحذوف واو، وأن الفعل مسند إلى واوا جماعة، كما يبقى آخر المسند إلى ياء المخاطبة مكسورا بعد حذف ياء المخاطبة، للدلالة على أن المحذوف ياء، والفعل مسند إلى ياء المخاطبة.

ثانيا– التبيين بزيادة الحروف: بالإضافة إلى ما سبق عالج النحاة كثيرا من ظواهر الزياده على مستوى رسم الخط في اللغة العربية عن طريق حملها على التبيين للحركة، من ذلك زيادة الألف في آخر لفظ (أنا) ضمير المتكلم، ومثلها في (حيهلا). ذكر سيبويه أنها زيدت هنا في كلا الموضعين لتبيين الحركة، وصرح بـ(أن تبيين الحركة بالألف قليل، إنما جاء في أنا وحيهلا)[٤]. ذكر ناظر الجيش في تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد بأن جاز لك أن تقف على هذه الكلمة (بالسكون، وأن تقف بالألف اللاحقة لتبيين حركة المبني في والوقف)[٥].

---

[١] – الخضري، محمد، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، ١: ٧

[٢] – انظر الرضي، نجم الدين، محمد بن الحسن الأسترآبادي، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م، شرح شافية ابن الحاجب مه شرح شواهده لعبد القادر البغدادي، تحقيق محمد نور الحسن وآخرون، بيروت: دار الكتب العلمية، ١: ٧٩.

[٣] – ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ٤: ٣٠٢.

[٤] – سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب. ٤: ٢٣٨.

[٥] – ناظر الجيش، محب الدين، محمد بن يوسف، ١٤٢٨هـ، تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، تحقيق: د. محمد علي فاخر وآخرون، ط ١، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، ٨: ٣٨٥١.

ومثل ذلك اعتبر النحاة زيادة الهاء المسماة بهاء السكت من هذا القبيل، وعرفوها بأنها (هاء، تلحق وقفاً، لبيان الحركة. وإنما تلحق بعد حركة بناء لا تشبه الإعراب، نحو: هوه، وهيه، وما ليه، وله. وتلحق أيضاً بعد ألف الندبة، ونحوها، كقولك: وازيداه، ولا تثبت وصلاً، إلا في ضرورة شعر، وإنما أثبتها القراء وصلاً، في بعض المواضع، اتباعاً لرسم المصحف)[١].

ومثل ذلك اعتبر بعض العلماء كتابة الألف بعد واو الجماعة في مثل (كتبوا، ونصروا ولم يكتبوا ولم ينصروا، واكتبوا، وانصروا) تبيينا، والمراد به الفرق بين واو الجماعة وبين واو العطف فيما انعدمت فيه القرينة الدالة على ذلك في نحو قولك: حضر وتكلم فلان، فلولا قاعدة كتابة الألف بعد واو الجماعة؛ لالتبس على القارئ واو العطف بواو الجماعة في مثل هذا التعبير، وأضافوا بأن كتابتها فيما أقيمت فيه القرينة، ولم يلتبس فيه واو العطف بواو الجماعة، كانت طردا للباب [٢].

التبيين الدلالي:

قد يحدث الالتباس في المعنى أوالدلالة في التعبير اللغوي، فيعالجه أهل اللغة بوسائل لغوية معينة، سمى النحاة تلك المعالجة بالتبيين. الالتباس الذي يتوقع أن يحدث في التعبير اللغوي على مستوى الدلالة لا يخلو من أحد الأمور الثلاثة، إما يحدث في دلالته على مستوى المفردات، أو يحدث في وصف معانى المفردات أو هيئاتها، كما أنه يحدث أحيانا في مدلول التركيب باعتبار الوظائف النحوية لعناصره.

أولا– تبيين دلالة المفردات في التعبير اللغوي: قد يحتمل أن يحدث الالتباس في دلالة المفردات نفسها في التعبير اللغوي، ويحتمل تأويلها بأكثر من محمل، فيأتي المتكلم في كلامه بما يزيل به ذلك الالتباس، ويبين المراد بمدلول تلك المفردات، فاعتبر النحاة هذا الصنيع تبيينا، قد نجد لهذا النوع من التبيين صور في النحو العربي، منها:

التمييز: التمييز في اللغة على وزن تفعيل مصدر الثلاثي المزيد بتضعيف العين، مجرده ماز يميز ميزا وميزة، والميز الفصل، يقال: ماز الشيء ميزا إذا فصل بعضه من بعض[٣]. فالتمييز هو تفريق شيء عن غيره وفصله عنه. وفي اصطلاح النحاة هو لفظ يؤتى به في الكلام لرفع الإبهام فيما سبق، وقد سماه المبرد بالتبيين، وعنونه به، فقال: (هذا باب التبيين والتمييز)[٤]، وصرح به في موضع آخر من غير ذكر مصطلح التمييز معه فقال: (واعلم أن التبيين إذا كان العامل فيه فعلا جاز تقديمه؛ لتصرف الفعل، فقلت : تفقأت

---

[١] – المرادي، بدر الدين حسن بن قاسم، ١٤١٣هـ– ١٩٩٢م، الجني الداني في حرو المعاني، فخرد الدين قباوه ومحمد نديم فاضل، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ص: ١٥٢.

[٢] – دنقور، شمس الدين أحمد،١٣٧٩هـ – ١٩٥٩م، شرحان على مراح الأرواح في علم الصرف وهامشه شرح مراح الأرواح ابن كمال باشا، ط ٣، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ص: ٢٧.

[٣] – انظر ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل، ٢٠٠٠م، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ٩: ٩٧. وابن منظور، لسان العرب، ٥: ٤١٢.

[٤] – المبرد، المقتضب، ص: ٣٢.

شحما، وتصببت عرقا، فإن شئت قدمت، فقلت : شحما تفقأت، وعرقا تصببت)[١]. ومثله ذكره الزمخشري بأنه يسمى بالتبيين، والتفسير أيضا[٢].وإنما سمو النحاة التمييز بالتبيين اعتمادا منهم في ذلك على الغرض من هذه الظاهرة اللغوية، وهو تبيين الجنس، ذكر ابن جني بأنه يفيد تخليص الأجناس بعضها من بعض، و يراد به تبيين الجنس[٣].يدل كل ذلك على أن التبيين قد يذكر في النحو العربي ويراد به– كما ذكره الزمخشري اللفظ الذي يؤتى به لرفع (الإبهام في جملة، أو مفرد، بالنصّ على أحدِ محتملاته)[٤].

عطف بيان: ولقد أطلق بعض النحاة لفظ التبيين على نوع من التوابع المشهور بعطف بيان؛ ورد ذلك عند ابن هشام في مغنيه ضمن حديثه عن الفروق بين البدل وعطف بيان، فصرح بأن (العطف تبيين بالمفرد المحض)[٥]. مثله ذكر الرضي أن عطف بيان للأول، كالوصف في التبيين[٦]. وعطف البيان من التوابع النحوية، يطلق على اسم جامد يؤتى به في الكلام لتوضيح إبهام فيما سبقه بسبب التباسه بغيره؛ لإمكان حمله على أكثر من محمل، وعرفه الزمخشري بأنه (اسم غير صفة، يكشف عن المراد كشفها)[٧]، فعطف البيان عند النحاة يطلق على كل اسم جامد يؤدي وظيفة النعت من المشقات، وأطلقوا عليه مصطلح التبين كذلك لأنه يأتي في الكلام لتوضيح ما فيه الإبهام أوالتباس بغيره.

البدل: ومثله سمى بعض النحاة البدل بالتبيين؛ ورد في كلام السيوطي أن تسمية البدل بالتبيين اصطلاح البصريين والكوفيين معا، وأضاف نقلا عن الأخفش بأن البلدل يسمى عند النحاة بالتبيين أيضا[٨]. و إنما سمَّى النحاة تلك الوظيفة النحوية بالتبيين لأن الغرض منها بيان مراد المتكلم عما سبق ذكره في الكلام، صرح ابن هشام في مغنيه أثناء مقارنته بين البدل وعطف البيان بأن البدل(بمنزلة جملة استؤنفت للتبيين)[٩]، و مثله صرح بذلك المبرد في مقتضبه أثناء حديثه عن بدل البعض، فقال:(واما بدل بعض الشيء منه للتبيين فنحو قولك: ضربت زيدا رأسه، وجاءني قومك بعضهم، أراد أن يبين الموضع الذي وقع الضرب به منه، وأن يعلمك أن بعض

---

[١] – المصدر السابق، ٣٦.

[٢] – الزمخشري، أبو القاسم محمود، ١٩٩٣م، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: علي بوملحم، ط ١، بيروت لبنان: مكتبة الهلال، ص: ٩٣. وابن يعيش، أبو البقاء موفق الدين يعيش بن علي. شرح المفصل للزمخشري. ٢: ٣٥.

[٣] – ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، ١٩٧٢م، اللمع في العربية، تحقيق: فائز فارس، الكويت: دار الكتب الثقافية، ص: ٦٤.

[٤] – ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، ٢: ٣٥.

[٥] – ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف، ١٩٨٥هـ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك، ط ٦، دمشق: دار الفكر، ص ٥٩٦.

[٦] – الرضي، محمد بن الحسن، ١٣٩٨هـ – ١٨٧٨م، شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب، تحقيق يوسف حسن عمر، بنغازي: جامعة قار يونس: ١: ٣٣٨.

[٧] – الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، ص: ١٥٩.

[٨] – انظر السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، (د.ت)، همع الهوامع شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مصر: المكتبة التوفيقية، ٣: ١٧٦.

[٩] – ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص: ٥٩٦.

القوم جاء لا كلهم، ومن ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[١] لأن فرض الحج إنما وقع منهم على المستطيع)[٢]. صرح المبرد بأن (من استطاع إليه سبيلا) في الآية بدل بعض من لفظ(الناس)، فقد جيء لتوضيح المراد بالناس، إذ إطلاق لفظ (الناس) يؤدي إلى التباس المراد منه بغيره، فأبدل منه (من استطاع) ليدل على أن المراد منه المستطيع منهم الذي له قدرة على ذلك ليس غير.

ثانيا: تبيين دلالة المفردات على مستوى الوصف والهيئة: قد يحدث الالتباس في هيئة شيء من عناصر الكلام أو وصفه، فيقيم المتكلم في كلامه من القرائن ما يزيل به هذا النوع من الالتباس، وسمى النحاة تلك القرآئن بالتبيين بالإضافة إلى ما سموها بأسامي ومصطلحات نحوية آخرى، من تلك القرائن التي عبر عنها النحاة باسم التبين كذلك هي:

المفعول المطلق: المفعول المطلق معروف، وهو ما يصدره الفاعل من الحدث، ويسمى بالمصدر، وانما يذكر المصدر مع فعله في الكلام لإفادة أحد الأغراض الثلاثة، منها بيان نوع الفعل وهيئته، وذكره ابن جني بلفظ التبيين فقال: (وتقول في التبيين قمت قياما حسنا وجلست جلوسا طويلا)[٣]. يدل كلام ابن جني على أن المفعول المطلق في الكلام في بعض استعمالاته تبيين، وذالك إذا ما أريد به بيان هيئة وقوع الحدث الذي يصدر من الفاعل أو الدلالة على مرات وقوعه، ودل ذلك صراحة على أن النحاة قد يذكرون مصطلح التبيين في مقابل التأكيد، ويريدون به التعبير عن الغرض الذي ذكر لفظ المصدر في الكلام لإفادته.

الحال: ومما اعتبره النحاة من التبيين بين الوظائف النحوين وظيفة حالية، والحال كما هو معروف وظيفة نحوية يراد بها بيان كيفية شيء، وقد قسمها النحاة –كما ذكر ابن هشام في مغنيه – بِحَسب التَّبْيِين والتوكيد إِلَى قسمَيْنِ مبينَة ومؤكدة، وصرحوا بأن استعمالها مبينة أكثر من كونها مؤكدة[٤]، وهي التي تذكر لتبيين كيفية صاحبها وتوضيحها حين التباسها بغيرها من الأحوال المحتملة. تحمل الحال على التبيين في كل موضع لا يستفاد معناها فيه بدونها، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾[٥]. أويصح استغناؤها عن ضمير صاحبها[٦]، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾[٧]. فتسمية الحال بالتبيين أو بالمبينة ترجع أساسا إلى كونها من مكملات الكلام الأساسية، فلايتبين معناه دون ذكرها.

---

[١] – سورة آل عمران: ٩٧.

[٢] – المبرد، المقتضب، ٤: ٢٧.

[٣] –ابن جني، أبو الفتح عثمان، كتاب اللمع في العربية، ص: ٤٨.

[٤] – انظر ابن هشام، مغني اللبيب، ١: ٦٠٦.

[٥] – سورة الأنعام، الآية: ٤٨، وسورة الكهف، الآية: ٥٦.

[٦] – انظر ابن هشام، مغني اللبيب، ١: ٦٠٦.

[٧] – سورة الكهف، الآية: ٢٧.

ومثله ورد في شرح التصريح على التوضيح لفظ بيان بمعنى التبيين، ذكر فيه أن الحال إذا دلت على المفاعلة، جاز أن تكون اسما جامدا، ومثل له بقول بعضهم: البر بعته زيدا يدا بيدٍ، فذكر أن (يدا) حال من الفاعل والمفعول به معا، وأن (بيد) بيان له لا بد من ذكره؛ إذ يفيد معنى المفاعلة، "أي: متقابضين". ومثله أضاف أن لفظ (فاه) في قولك: (زيد كلمته فاه إلى فيَّ)، حال من الفاعل والمفعول، و"إلى فيَّ": بيان وفيه معنى المفاعلة. "أي: متشافهين[١].

النعت: ومما اعتبره النحاة من التبيين بين الوظائف النحوية نعت، والنعت معروف لا يخفى على أحد، فهو تابع يوتى به في الكلام لإفادة معاني عدة، منها إيضاح متبوعه، والإيضاح هو إزالة الاشتراك العارض في المعارف على سبيل الاتفاق، أو هو رفع الاحتمال فيها [٢]، وإزالة الاشتراك في الأشياء هو معنى التبيين أو البيان النحوي. فالنعت يعتبر من التبيين باعتبار ما يفيده من الإيضاح في المعارف، ويؤتى به في الكلام عند اشتراك لفظ المعرفة بين معاني متعددة على وجه الصدفة والاتفاق، فتحتاج لبيان المراد به إلى التوضيح والبيان.

من الجارة: ومما حمله النحاة على تبيين الالتباس الواقع في المفردات، بعض عوامل الجر؛ من ذلك (من) الجارة، فذكروا أن مما تفيده(من) الجارة التبيين، جاء في المخصص لابن سيدة أن (من) في اللغة العربية يستعمل على أربعة أوجه، منها (التبيين)[٣]. مثله ذهب ابن الحاجب إلى أن من الجارة تأتي لمعان منها التبيين[٤] تحمل (من) على التبيين إذا كان (قبلها أو بعدها مبهم، يصلح أن يكون المجرور بمن تفسيرا له، وتوقع اسم ذلك المجرور على ذلك المبهم)[٥]. ذكر السيد الشريف: أن (من) إذا كانت للتبيين يكون ما قبلها أكثر مما بعدها [٦]. وخصوا تبيينه بالجنس، ذكر ابن هشام في مغنيه أن (من) تأتي لبيان الجنس، وأضاف أنها تقع بكثرة في موضعين، أولهما بعد ما الموصولة، نحو: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾[٧] ومثلها في قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ

---

[١] – انظر الوقاد، خالد بن عبد الله، ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م، شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١: ٥٧٤.

[٢] – المصدر نفسه، ٢: ١٠٨.

[٣] – ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م، المخصص، تحقيق خليل إبراهيم جفال، ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٤: ٢٣٠.

[٤] – ابن الحاجب، جمال الدين بن عثمان، ٢٠١٠م، الكافية في علم النحو، تحقيق صالح عبد العظيم الشاعر، ط ١، القاهرة: مكتبة الآداب، ص ٥١.

[٥] – الرضي، شرح الرضي على الكافية، ٣: ٢٦٦.

[٦] – الكفوي، أيوب بن موسى، (د. ت)، الكليات معجم في المصطحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش– محمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة، ص : ٨٣١.

[٧] –سورة فاطر، الآية: ٢.

مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾[١]. ثانيهما بعد مهما، نحو قوله تعالى: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا﴾[٢]. وبين أنها تأتي بعد هاتين الأداتين لإفراط إبهامهما، وأضاف أنها تأتي بعد غيرهما من اسم جنس كذلك، و تبين المراد به[٣].

واسم الجنس عند النحاة ما صح إطلاقه على أشياء متعددة، يدل على كل منها على السواء، فيؤتى بعده ما يحدد المراد به مجرورا بـ(من)، وتسمى تلك (من) تبيينية، فـ(من) التبيينية هي التي جرت ما يبين المراد مما ذكر قبلها أو بعدها من المبهم نحو قوله تعالى ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾[٤]، الرجس في الآية لفظ عام يشمل الأوثان وغيرها، فذكر لفظ (الأوثان) بعده مجرورا بمن ليبين به المراد من الرجس المطالب الاجتناب منها في هذا السياق. ومثله قوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾[٥]، حيث ورد فيه لفظ(أساور) عاما يحتمل أن يكون ذهبا أو غيره، فتحدد بذكر (من ذهب) أن المراد به كونه ذهبا لا غير، ومثله ورد لفظ (ثياب) في الآية عاما يحتمل أن يكون سندسا أو غيره، فذكر بعده لفظ (سندس) مجرورا بـ(من) ليبين أنه (سندس) لا غير.

يدل تلك الأمثلة بوضوح على أن (من) الجارة تعتبر للتبيين في كل موضع صح فيه أن يكون المجرور بها بمثابة عطف بيان او وصف لما وقع قبلها، ويكون المجرور بها هو المراد في قصد المتكلم من المبهم المذكور في الكلام، ومن علامات من التبيينية صحة الإخبار بالمجرور بها عن الاسم المبهم قبلها أوبعدها، أو صحة وضع (الذي هو) موضعها إن كان الاسم المبهم معرفة، وصحة وضع جملة اسمية تتكون من ضمير المبهم والمجرور بها موضعها إن كان الاسم المبهم نكرة [٦]، فتكون (من) في تلك الحالة قائمة مقام الوصف [٧].

الإضافة البيانية: مما يفيد التبيين عند النحاة الإضافة بشرط أن يكون المضاف إليه جنسا عاما يصلح إطلاقه عليه وعلى غيره معا[٨]، تعتبر الإضافة تبيينية إذا كان المضاف إليه جنسا للمضاف، وكلا له، يصلح للإخبار به عنه، ويصح إطلاقه عليه، نحو: ثوب الخز

---

[١] – سورة البقرة: الآية: ١٠٦.

[٢] – سورة الأعراف، الآية: ١٣٢.

[٣] – ابن هشام، مغني اللبيب، ص ٤٢٠.

[٤] – سورة الحج، الآية: ٣٠.

[٥] – سورة الكهف، الآية: ٣١.

[٦] – انظر المرادي، أبو محمد حسن بن قاسم، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م، توضح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق عبد الرحمن علي سليمان، ط ١، دار الفكر العربي، ٢: ٧٤٩. والصبان، حاشية الصبان، ٢: ٣١٣.

[٧] – انظر الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى، (د. ت)، منازل الحروف، تحقيق إبراهيم السامرائي، عمان: دار الفكر، ص: ٥٠.

[٨] – الرضي، شرح الرضي على الكافية، ٢: ٢٠٦.

وباب الخشب، فثوب الخز ليس غير خز كما أن باب الخشب ليس غيرالخشب. فيمكن أن يخبر بالخز عن الثوب فنقول الثوب خز، وكما يمكن أن يخبر بالباب عن الخشب، فتقول: الباب خشب[١].

ثالثا: تبيين دلالة الألفاظ في التأليف على المعاني النحوية:

ذكر النحاة مصطلح التبيين في باب الإعرب كذلك، واعتبروا وسائله العلامات الإعربية؛ ذكروه أثناء تعليل حكمهم على أصالة الإعراب في الأسماء؛ جاء في مُلْحَة الإعراب:

فالرفعُ ضَمُّ آخرِ الحُروفِ والنّصبُ بالفتحِ بلا وُقوفِ

والجَرُّ بالكسرةِ للتَّبيينِ والجَزمُ في السَّالِمِ بالتَّسكينِ[٢]

بين الناظم أن ما يتوارد على آخر الأسماء من الاختلاف، ويسمى بالرفع والنصب والجر عند النحاة إنما يفيد التبيين، والمراد به إيضاح المعاني النحوية التي تتوارد على الأسماء[٣]، والمعاني النحوية التي يبينها الإعراب ويوضحها هي: (الفاعلية) و (المفعولية) و (الإضافة)؛ فلو لم تعرب الأسماء (لالتبست هذه المعاني بعضها ببعض؛ يدلك على ذلك أنك لو قلت: (ما أحسن زيدا !) لكنت متعجبا، ولو قلت: (ما أحسن زيدٌ) لكنت نافيا، ولو قلت: (ما أحسن زيدٍ؟) لكنت مستفهما عن أي شيء منه حسن؛ فلو لم تعرب في هذه المواضع لالتبس التعجب بالنفي، والنفي بالاستفهام، واشتبهت هذه المعاني بعضها ببعض؛ وإزالة الالتباس واجب)[٤].

ومثل ذلك تكلم بعض النحاة عن وجه إعراب الفعل المضارع، وصرح بأنه أعرب في اللغة العربية؛ لإيضاح معناه في موضع عن معناه في موضع آخر، فإذا قلت: (لا تأكل السمك وتشرب اللبن) بجزم الفعل الثاني كان له معنى، فإذا نصبته أو رفعته كان له معنى آخر. وكذلك إذا قلت: (أريد أن أزورك فيمنعني البوابُ) برفع الفعل الثاني دل على خلاف ما يدل عليه إن قلته بنصبته، وكذلك قولك: (لتكتب المحاضرة)، إن جزمت فيه الفعل كان أمرا، وإن نصبته كان علة[٥]. فأقامت اللغة قرينة الإعراب في الفعل لإفادة معانيه المختلفة، وإزالة التباس معناه في موضع بمعناه في موضع آخر.

رابعا: تبيين المعنى العام للكلام: قد يمكن أن يلتبس المعنى العام للكلام على السامع في بعض الأساليب، فيأتي فيه المتكلم بما يوضح به مراده، واعتبر النحاة ما يوضح به مراد المتكلم في مثل تلك الأساليب من التبيين؛ إذ لا يفهم معناه دونه، من ذلك أساليب يلتبس فيها ما يسميه النحاة بفاعل معنوي للكلام لا النحوي بمفعول معنوي له، فتوظف اللغة العربية في هذه الحالة حرفي جر إلى

---

[١] – انظر ابن هشام جمال الدين عبدالله، (د. ت)، شرح شذورالذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق عبد الغني دقر، سوريا: شركة المتحدة للتوزيع، ص: ٤٢٥.

[٢] – الحريري، القاسم بن علي، ١٤٢٦هـ. ٢٠٠٥م، مُلحة الإعراب، ط١، القاهرة: دار السلام، ص: ١٣.

[٣] – ابن الصايغ، محمد بن الحسن، اللمحة في شرح الملحة، ١: ١٥١.

[٤] – المصدر السابق نفسه.

[٥] – انظر العكبري، أبو البقاء محب الدين عبد الله، ١٩٩٥م، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق غازي مختار طليمات، ط ١، دمشق: دار الفكر، ٢: ٢١.

واللام الجارة للإفادة، ويسمي النحاة مفادهما بالتبيين، أي تبين الفاعل المعنوي من المفعول المعنوي، وضابطها أن تقع إلى أواللام الجارة مع المجرور بهما بعد فعل تعجب أو اسم تفضيل مما يفهم حبا أو بغضا في نحول قولك : ما أحبَّني وما أبغضَني، أو أنا أحَبُّ أو أبْغَضُ، فإن قلت بعدها: (لفلان)، فأنت في حكم فاعل معنوي لا نحوي للحب والبغض، وما جر باللام بعدهما هو في حكم مفعول معنوي لهما لا نحوي، وإن قلت: (إلى فلان)، فالأمر بالعكس، يعني أنت في حكم مفعول معنوي للحب أو البغض لا النحوي، والمجرور بإلى في حكم فاعل معنوي لهما لا النحوي[١]

ومثله اعتبر بعض كبار النحاة الجار والمجرو غير إلى واللام الجارة في النصوص الفصيحة من القرآن الكريم وأقوال العرب من التبيين، فعلقهما في الكلام بما يدل عليه معناه دون لفظه لدفع التباس معناه بغيره، وفي ضوء هذا الصنيع النحوي عرف ابن جني التبيين بأنه تعليق شيء من عناصر الكلام على معناه دون لفظه. وأضاف بأن لا يمتنع أن يكون تفسير المعنى مخالفا لتقدير الإعراب، واستدل لصحة دعواه بقولهم: "أهْلَكَ والليلَ" وهو من أساليب الإغراء ومعناه: الحق بأهلك قبل الليل، وتقديره في الإعراب: الحق أهلَك وسابقِ الليلَ[٢].

لقد حلل النحاة في ضوء هذه النظرية أساليب عربية تكونت من مصدر منصوب بعده الجار والمجرور نحو قولهم: (تباً لفلان) ومثله (سقيا لك)، ذكر النحاة أن اللام في الأسلوب الأول لتبيين فاعل التباب، فهي ومجرروها إما متعلقة بخبر لمبتدأ محذوف تقديره (دعائي كائن لفلان)، أو متعلقة بفعل محذوف تقديره (أعني أو أريد الدعاء لفلان). كما أن اللام في الأسلوب الثاني لتبيين المفعول للسقي، متعلقة بما تعلق به اللام في الأسلوب أول. والمبتدأ مع خبره أو الفعل مع الفاعل ومتعلقاته جملة استئنافية وقعت إجابة لسؤال مفهوم من الكلام؛ إذ فيه إسناد المصدر أو تعلقه بمبهم غير معروف، فيحتمل أن يتعلق بكل من يمكن أن يدعى عليه أو له، فيتصور المتكلم كأن سائلا يسأل عن المراد بالمدعو عليه أو له، فيبينه له بهذه الجملة، وهي جملة استئنافية لا محل لها من الإعراب، وقد صرح ابن هشام بهذا المطلوب، وذكر(أنهم إذا أطلقوا القول بأن اللام للتبيين فإنما يريدون بها أنها متعلقة بمحذوف استؤنف للتبيين)[٣].

وإنما ذكروا أن اللام في الجملة الأولى تبين الفاعل، متعلقة بمحذوف ولا يصح تعلقها بالمصدر؛ لأن مدخولها في الواقع هو فاعل لذلك المصدر، والفاعل لا يجر أصلا، كما أنها ليست بزائدة لتقوية العامل؛ لأن اللام الجارة الزائدة يصح الاستغناء عنها، وهذه اللام فلازمة لا يستغنى عنها أصلا. وذكروا أن اللام في الجملة الثانية لتبيين المفعول، متعلقة بمحذوف،لا المصدر، ولا يصح تعلقها بها؛ لأن (سقيا) نائب عن فعل أمر(اسق) فإن تعلق به اللام الجارة لزم من ذلك اجتماع خطابين لجهتين مختلفتين في فعل واحد، أولهما

---

[١] – انظر الصبان، محمد بن علي، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، حاشية الصبان على شرح الأشموني ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢: ٣٢٤.

[٢] – ابن جني، المنصف، ص: ١٣١.

[٣] – ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص: ٢٩٢.

فاعل الأمر وهو ضمير مستتر تقديره أنت، والثاني كاف الخطاب في (لك)، فيكون التقدير: اسق يا الله لك، وهو –كما نرى– مفسد للمعنى[١].

ومثل ذلك اعتبر بعض النحاة اللام الجارة الملحقة بأسماء الأفعال في نحو قوله تعالى(هَيْتَ لَكَ)[٢] للتبيين، على أن (هيت) اسم فعل أمر بمعنى (أقبل أو أسرع) و(لك) تبيين، جيء لتوضيح الجهة التي يتوجه إليه الخطاب[٣]. وليست متعلقة بـ(هيت) احترازا عن اجتماع الخطاب إلى جهتين مختلفتين في فعل واحد وهو كما رأينا مفسد للمعنى، ومثلها في قوله تعالى ﴿هيهاتَ هيهاتَ لما توعَدون﴾[٤]، ذكروا أن (هيهات) اسم فعل ماض بمعنى بعد، و(لماتوعدون) تبيين للفاعل، واللام لا يتعلق بـ(هيهات)؛ لأن المجرر بها في الحقيقة فاعل له، والفاعل لا يجر أصلا.

ومثل ذلك خرج النحاة في ضوء هذا الصنيع اللغوي قول العرب في الدعاء للقادم: (مرحبا بك) بمعنى أتيت موضعا رحيبا، أو رحب مكانك، واعتبرو (بك) تبيينا على أن معناه: هذا الدعاء خاص بك[٥]. وإنما لم يعلقوا الجار والمجرور بـ(مرحبا) لأن المجرور هنا فاعل، ومعناه نزلت مكانا رحبا، والفاعل لايجر.

مثل ذلك اعتبر النحاة من تبيين المعنى العام للكلام ما تقدم في بعض أساليب فصيحة شيء من مكملات الصلة من ظرف أو جار ومجرور على الموصول في مثل قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[٧] وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[٨] ومثله قوله تعالى: ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾[٩] فكلمة "أل" في الآيات السالفة، اسم موصول، صلته الاسم المشتق، وتقدم في كل واحدة منها الجار والمجرور على اسم الموصول، فلو علقنا الجار والمجرور المتقدم بالصلة صارا جزءا منها، وأصبحا مع الصلة بمثابة كلمة واحدة لشدة اتصالهما بها، فلا يجوز تقديمهما عليها؛ كما لا يجوز تقديم حرف من الكلمة (قلم) على حروفها الآخرى. وبالإضافة إلى ذلك يعتبر اسم الموصول عند جمهور البصريين من أدوات لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، فلا يجوز تقديم شيء من الصلة عليه. فعلق كثير من النحاة الجار والمجرور في مثل تلك النصوص بخبر مبتدإ

---

١ – ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص ٢٩٢. وانظر ابن جني، المنصف، ص: ١٣١.

٢ – سورة يوسف، الآية: ٢٣.

٣ – الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، اللامات. تحقق: مازن المبارك، ط ٢، دمشق: دار الفكر، ص: ١١٦– ١٢٤.

٤ – سورة المؤمنون، الآية: ٣٦.

٥ – الرضي، محمد بن الحسن، شرح الكافية لابن الحاجب، ١: ٣٠٨.

٦ – سورة يوسف، الآية: ٢٠.

٧ – سورة الأعراف، الآية: ٢١.

٨ – سورة الأنبياء، الأية: ٥٦.

٩ – سورة الشعراء، الآية: ١٦٨.

محذوف تقديره: إرادتي، أو بفعل محذوف تقديره (أعني)، فهما يمثلان جملة مستقلة مستأنفة حذف صدرها، وظيفتها التبيين للمعنى العام لصلة الموصول. ومن العلماء من علقهما بمحذوف يدل عليه المذكور في الآيات، تقديره: {وَكَانُوا مِنَ الزَّاهِدِينَ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ}، {وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَمِنَ النَّاصِحِينَ لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ} {وَأَنَا مِنَ الشَّاهِدِين عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِين} وإنما حذف ما يتعلق به الجار والمجرور على شريطة التفسير، وبقي متعلقه لتبيين المراد بالكلام[١].

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث يتبين أنَّ التبيين في النحو العربي ليس ظاهرة عرضية أو مسألة جزئية من مسائل التركيب، بل هو مبدأ أصيل يتغلغل في بنية النظام النحوي العربي، ويكشف عن الصلة الوثيقة بين النحو والمعنى. فقد أظهر البحث أن حقيقة التبيين تقوم على رفع الإبهام، وإزالة الاحتمال، وتخصيص الدلالة، وضبط العلاقات بين مكونات التركيب، بما يحقق المقصد الإفهامي على أكمل وجه.

ويمكن القول إن إعادة قراءة مفهوم التبيين في ضوء التكامل بين التراث النحوي والدراسات اللسانية المعاصرة تسهم في إبراز عمق التفكير النحوي العربي، وتفتح آفاقًا جديدة للبحث في العلاقة بين النحو والدلالة، وبين القاعدة والاستعمال.

وختامًا، فإن هذا البحث لا يدّعي الإحاطة الشاملة بكل جوانب التبيين، وإنما يطمح إلى أن يكون لبنةً في بناءٍ علميٍّ أوسع، يدعو إلى مزيدٍ من الدراسات المتخصصة التي تتناول هذا المفهوم في ضوء المقاربات المقارنة والتحليل النصي والتداولي، خدمةً للدرس النحوي العربي وإحياءً لأبعاده البيانية العميقة.

أهم النتائج:

لقد أسفر البحث عن التبيين كمصطلح نحوي عن نتائج هامة نوجزها في يلي:

١- التبيين من البيان، والبيان في اللغة العربية وضع لمعنين متضادين، القطع والوصل؛ يبدو أن سبب التضاد في دلالته يرجع إلى اختلاف اللهجات العربية، حيث استفاد منه بعض العرب بمعنى القطع، كما استفاد منه بعض آخر بمعنى الوصل، ثم عم كلا الاستعمالين بين العرب في فترة من حياة اللغة، فأصبح اللفظ من الألفاظ المضادة؛

٢- يحتمل أن يكون السبب في تضاد دلالته شيوع الاستعمال المجازي في اللغة، فوضع البيان أصلا للقطع، ثم انتقل منه إلى الوصل تفاؤلا، أو كون انقطاع المحبوب يسبب وصله في القلب، ودوام ذكرياته فيه، واستمرارا حضوره في الذهن، بحيث لا يتفرغ منه خاطر المحب أصلا، فسمي الوصل بلفظ يفيد القطع؛ لكونه مسببا عنه، فالبيان بمعنى الوصل مجاز علاقته سببية، ذكر السبب وهو البين بمعنى القطع، وأريد به المسبب وهو الوصل؛

[١] – انظر أباحيان، محمد بن يوسف، ١٣١٨هـ – ١٩٩٨م، ارتشاف الضرب من لسان العرب،، تحقيق رجب عثمان محمد، مراجعة رمضان عبد التواب، القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢: ١٠٤٣.

٣- توسعت العرب في استعمال لفظ التبيين عن طريق المجاز، بحيث أفادوا به معاني منها: الوضوح، الظهور، التفسير، وذلك لأن الشيء إذا انقطع عن غيره اتضح، وظهر، وعرف بعد أن كان مشوبا خليطا بغيره؛

٤- ورد مصطلح التبين في النحو العربي بمعان، منها: الإظهار، والفصل، والفرق، والتناسب، والتفسير والتوضيح؛

٥- تبين من خلال تتبع أراء النحاة في التراث أنهم أطلقو التبيين على ظاهرة لغوية سببت إزالة الإبهام على مستويين، مستوى البنية السطحية لألفاظ الكلام ومستوى البنية الدلالية العميقة؛

٦- ظهر من خلال هذا التتبع أن اللغة تستفيد لزوال الإبهام في بنية سطحية للألفاظ من وسائل لغوية متعددة، فسمى النحاة بعضا من هذه الوسائل باسم التبيين، منها: الحركات، نقلها، وتغييرها، وإبقاؤها مع توافر أسباب تغييرها، منها بعض الزيادات على الألفاظ، نحو ألف الندبة، وهاء السكت، وألف فارقة تكتب إثر فعل مضارع مسند إلى واو الجماعة في حالة الجزم والنصب، وفعل ماض وأمر مسندين إلى الواو الجماعة؛

٧- ومثل ذلك اعتبر النحاة الغرض من الاختلاف الإعربي من الرفع والنصب والجر والجزم تبيينا، بحيث يتيبين به على مستوى الأسماء المعاني النحوية من الفاعلية والمفعولية، والإضافة؛ كما يتبين به على مستوى الأفعال ما تفيده الجمل الفعلية من المعاني السياقية؛

٨- وتبين أن النحاة اطلقوا مصطلح التبيين على بعض ما يزيل الإبهام في دلالالة ألفاظ الكلام على المعنى اللغوي المراد منها، فيوضح مدلولها المقصود، ويميزه من غيره، من ذلك ما يسمى بالتمييز، وعطف البيان، والبدل، حيث سمى كل واحد منها بعض النحاة بالتبيين؛

٩- سمى النحاة بالتبيين ما يزيل الإبهام في هيئة بعض عناصر التعبير ووصفها، نحو المفعول المطلق المبين لنوع العامل، والحال المؤسسة، ونعت المعرفة، ومن الجارة المبنية للجنس، والإضافة بمعنى من؛

١٠- بالإضافة إلى ذلك عالج النحاة في ضوء مصطلح التبيين وسائل لغوية جاءت في النصوص اللغوية الفصيحة من القرآن الكريم والحديث النبوية الشريفة، والشعر، والنثر العربي، يؤدي حملها على خلاف التبيين إلى ارتكاب محظور لغوي؛

١١- تبيَّن أن وسائل التبيين في العربية متعددةٌ ومتكاملة؛ فمنها ما هو صرفي؛ كالاشتقاق وصيغ المبالغة، ومنها ما هو نحوي؛ كالنعت والبدل والتوكيد والتمييز والحال، ومنها ما هو سياقي تداولي يستمد قوته من المقام والقرائن الحالية والمقالية؛

١٢- وهذا التنوع في الوسائل يدل على مرونة اللغة العربية ودقتها في التعبير عن المعاني الدقيقة، ويؤكد أن النظام النحوي لم يكن شكليًّا محضًا، بل كان موجَّهًا لخدمة البيان وتحقيق الفهم؛

١٣- وعلى الرغم من عمق تمدد جذور التبيين في البحث اللغوي أطلق النحاة هذا المصطلح في متن التراث النحوي على بعض الظواهر اللغوية، فلا مانع من إطلاقه على جميع ما يلعب دور التبيين والتوضيح وإزالة الإبهام؛

١٤- وقد أسفر التحليل كذلك عن أنَّ التبيين يمثل بعدا دلاليا ووظيفيا في آن واحد؛ إذ يجمع بين البنية التركيبية والوظيفة التواصلية، مما يجعله مجالا خصبا للدراسات اللسانية الحديثة، لاسيما في ضوء التداولية ولسانيات النص وتحليل الخطاب؛

١٥– وختامًا فإن البحث في التبيين لا يقتصر على إعادة توصيف ظاهرة نحوية، بل يتجاوز ذلك إلى إعادة بناء الرؤية الوظيفية للنحو العربي في ضوء مقاصده البيانية والتواصلية، وهو مسار بحثي جدير بمزيد من العناية والدراسة.

التوصيات:

في ضوء ما انتهت إليه الدراسة، يُوصى بما يأتي:

١– إجراء دراسات تطبيقية موسعة تُعنى بتحليل مظاهر التبيين في نصوص قرآنية وأدبية؛ للكشف عن آلياته في سياق الاستعمال الفعل؛

٢– دراسة التبيين في ضوء اللسانيات التداولية ولسانيات النص؛ لبيان علاقته بمفاهيم الإحالة، والافتراض المسبق، والاتساق النصي؛

٣– إعادة الفحص عن بعض الأبواب النحوية التقليدية (كالتمييز والحال والبدل) في إطار جامع يقوم على الوظيفة التبيينية بدلًا من التصنيف الشكلي المجرد؛

٤– عقد مقارنات بين مفهوم التبيين في التراث النحوي العربي وبعض المفاهيم المقابلة في اللسانيات الحديثة، مثل التحديد و التقييد؛

٥– الإفادة من المدونات اللغوية الحاسوبية في تتبع أنماط التبيين وتوزيعها الإحصائي في النصوص العربية القديمة والمعاصرة.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، الأضداد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م.

٢. ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، شرح القصائد الطوال الجاهليات، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ٥، (د. ت).

٣. ابن جني، أبو الفتح عثمان، المنصف شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، ط ١، بيروت: دار إحياء التراث القديم،١٣٧٣هـ ١٩٥٤م.

٤. ابن جني، أبو الفتح عثمان، كتاب اللمع في العربية. تحقيق: فائز فارس، الكويت: دار الثقافة، ١٩٧٢م.

٥. ابن الحاجب، جمال الدين بن عثمان، الكافية في علم النحو، تحقيق: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، ط١، القاهرة، مصر: مكتبة الآداب،٢٠١٠م.

٦. ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي،١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

٧. ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.

٨. ابن الصايغ، محمد بن الحسن، اللمحة في شرح الملحة،دراسة وتحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي،، ط١ المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

٩. ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الطبعة التونسية، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٩٩٧ م.

١٠. ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٢، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥م.

١١. ابن فارس، أبو الحسين أحمد، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

١٢. ابن منظور، لسان العرب، ط ٣، بيروت: دار الصادر، ١٤١٤ هـ.

١٣. ابن هشام جمال الدين عبدالله، شرح شذورالذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق عبد الغني دقر، سوريا: شركة المتحدة للتوزيع، (د. ت).

١٤. ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، ط ٦، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥م.

١٥. ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل للزمخشري، تحقيق الدكتور إميل بديع يعقوب، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

١٦. أبو عبد الله محمد عبد القادر بن محمد باي بلعالم، اللؤلؤ المنظوم في نظم منثور ابن آجروم، (مطبوع مع الكوكب الزهري نظم مختصر الأخضري)، ط ١، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

١٧. أبوحيان، محمد بن يوسف، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣١٨هـ – ١٩٩٨م.

١٨. أبوحيان، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

١٩. الأزهري، أبو منصور، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.

٢٠. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الجيل، ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م.

٢١. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤، بيروت: دار العلم لملايين، ١٤٠٧–١٩٨٧م.

٢٢. الحريري، القاسم بن علي، مُلحة الإعراب، ط١، القاهرة: دار السلام، ١٤٢٦هـ. ٢٠٠٥م.

٢٣. دنقور، شمس الدين أحمد، شرحان على مراح الأرواح في علم الصرف وهامشه شرح مراح الأرواح ابن كمال باشا، ط ٣، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٩هـ – ١٩٥٩م.

٢٤. الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، مفاتيح الغيب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.

٢٥. الرضي، محمد بن الحسن ، شرح الرضي على الكافية، تحقيق يوسف حسن عمر، لبيا: جامعة قار يونس، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

٢٦. الرضي، محمد بن الحسن ، شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده لعبد القادر البغدادي، تحقيق محمد نور الحسن وآخرون، بيروت: دار الكتب العلمي، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

٢٧. الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى، منازل الحروف، تحقيق: إبراهيم السامرائي، عمان: دار الفكر، د. ت.

٢٨. الزبيدي، تاج العروس. مجموعة المحقيقين، القاهرة: دار الهداية، د.ت.

٢٩. الزجاجي، أبو القاسم، عبد الرحمن بن إسحاق، اللامات، تحقق مازن المبارك، ط ٢، دمشق: دار الفكر، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٣٠. الزمخشري، محمود، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ. ١٩٩٨م.

٣١. الزمخشري، محمود، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق علي بوملحم، ط١، بيروت: مكتبة الهلال، ١٩٩٣م.

٣٢. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقق عبد السلام محمد هارون، ط ٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م.

٣٣. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، همع الهوامع شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مصر: المكتبة التوفيقية، د.ت.

٣٤. الصبان، أبو العرفان، محمد بن علي، حاشية الصبان على شرح الأشموني ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م.

٣٥. العكبري، محب الدين عبد الله، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي مختار طليمات، ط ١، دمشق: دار الفكر، ١٩٩٥م.

٣٦. الفيومي، أحمد بن محد، المصباح المنير في غريب شرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.

٣٧. الكفوي أبو البقاء، أيوب بن موسى، الكليات معجم في المصطحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش– محمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة، د. ت.

٣٨. المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب، المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة، بيروت، لينان: عالم الكتب، د.ت.

٣٩. المبرد، المقتضب. تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة: ١٣٧٣هـ.

٤٠. المرادي، بدر الدين، حسن بن قاسم، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق عبد الرحمن علي سليمان، ط ١، دار الفكر العربي، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.

٤١. المرادي، حسن بن قاسم، الجني الداني في حرو المعاني، تحقيق فخرد الدين قباوه ومحمد نديم فاضل، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ– ١٩٩٢م.

٤٢. المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق محمد رضوان الداية، ط ١، بيروتك ١٤١٠هـ.

٤٣. ناظر الجيش، محمد بن يوسف، ١٤٢٨هـ، تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، تحقيق: محمد علي فاخر وآخرون، ط ١، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر.

٤٤. نكري، عبد النبي بن عبد الرسول، دستور العلماء، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، تعريب حسن هاني، ط ١، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٤٥. الوراق، محمد بن عبد الله، علل النحو، ط١، الرياض: مكتبة الرشد،١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٤٦. الوقاد، خالد بن عبد الله، شرح التصريح على التوضيح، ط ١، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.